إعجاز الحوار والحجاج في القصص القرآني

الدكتور: خلادي محمد الأمين

جامعة أدرار – الجزائر

يظهر الحجاج في القرآن الكريم داخل سياقات متعددة ومنها الحوار بأنواعه الذي يركز على أدوات الإقناع وأدلته تجاه المتلقي؛ ومنه أحاول إبراز شواهد من ذلك الوجه الإعجازي في القصص القرآني وبيان تأصيل القرآن العظيم للبيان الحجاجي والإقناعي، وذكر أمثلة قصصية مختلفة رسخت فعل التوصيل من خلال الحجاج، أضف إلى هذا ما ورد في سورة يوسف _عليه السلام_من شواهد دالة على حقيقة الحجاج

Abstract: Argumentative Pilgrims appears in the Koran in a variety of contexts, including the kinds of dialogue that focuses on the tools of persuasion and the recipient's evidence. And I'm trying to highlight the evidence of the miraculous in the face of Quranic stories and rooting statement of the Holy Qur'an and persuasive and argumentative statements, and listed anecdotal examples of different firmly fixed reaction conduction through argumentation, in addition to what is stated in Surah Yusuf _peace be upon him, as evidence of the function of the fact of that argument.

ممهدة عامة : يخلد الذكر المعجز محفوظا بيد المولى تبارك وتعالى؛ ذلك لأنه من كلام الله عزت قدرته وتعالت علياؤه وهو الحي الباقي، فيحيط الحق تبارك وتعالى بكل شيء إذ منح الخلق قدرة التدبر آلة توصيلية قائمة على التدبر والنظر والادكار والاعتبار في آياته الناطقة علامة عليه سبحانه من قدير عليم خبير.

يحظى الإنسان بهذه الحظوة التي أثلها الخطاب القرآني بصريح الآيات الكريمات الداعية إلى إعمال العقل والتذكر في صنع الله الذي أتقن كل شيء؛ مخاطبا إياه بأوامر متعددة متنوعة في مواقع مختلفة من القرآن العظيم .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

وأحسب أن النص الفرقاني يدعو العاقل إلى الادكار دعوة عجيبة لا تصدر إلا من خالق هذا الكون علام الغيوب؛ فمن يتأمل التأصيل القرآني لهذه الدعوة في السور ومنها قوله تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)، حتى يقن المرء بتلك المكانة التي يرعاها له مولاه في كل ما يتعلق بحياته الدنياوية والأخراوية.

وسأربط ذلك كله باستنباط الدلائل الإعجازية التي من شأنها تكون العقل البشري تكوينا صحيحا في تلقي بلاغة التلقي توصيلا وحجاجا ومقاولة حوارا ومحادثة ؛ ثم إقناعا وكفاية بين الإيجاز والترداد جميعا.

تأثيل الخطاب القرآني لحجاجية التلقي وحوارية التوصيل.

الحوار المعجز في القرآن العظيم ذو حجاجية مخصوصة لا كفؤ لها وقد ارتبط بالدعوة إلى عقيدة التوحيد التي أمر بها الله سبحانه وتعالى عباده وهو العليم الخبير بما يصلح لهم في دنياهم ودينهم وأخراهم؛ «و الحوار جزء هام من الأسلوب التعبيري في القصة، وهو صفة من الصفات العقلية التي لا تنفصل من الشخصية بوجه من الوجوه» [1]، ومادام الخالق تعالى عالم بمخلوقاته فإن الخطاب القصصي إذ ذاك يتناسب والشخصية تناسبا طرديا معجزا .

كما أن حقيقة الحجاج موصولة بالحوار معنى وروحا؛ ذلك لأن الخطاب الفرقاني بين في وجهة مخاطبته لكل الناس على إطلاق الدلالة التي تحملها كلمة الناس، بل وكل المخلوقات التي خاطبها المولى في قرآنه؛ كالذي حظيت به الجن والملائكة وسواهما من الحيوان والجماد والنبات ومظاهر الطبيعة وشواهد الكون؛ لذلك «يعد الحجاج بابا رئيسا في المباحث التداولية»[2].

و الحوار في القرآن الكريم « مقاولة بين شخصين أو أكثر يعبر عن معانيها أرفع الكلام وأسماه، وأعرقه في مرماه..إنه صور تخرج خبايا النفوس. فيصورها خالقها من خلالها... وتكشف عن طوايا الصدور. فيعرضها الرب سبحانه على وجهها !! »[3]، وما أعظم تلوين الحوار وصيغ تركيبه بين موطن وآخر لقصة واحدة وهو ضرب من الإعجاز الفني بديع، ذلكم باد في القصص القرآني المكرر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

« و من أمثل مزايا تلك الحركة المتنقلة بين أبعاد القصة في القرآن ملء الفراغات التي تكون عادة بين مقاطع الحوار، وتقع أثناء المقاولة والمصاولة حتى يشعر القارئ أو السامع أو المشاهد بأنه يعيش فعلا مع أحداث القصة .ينتقل مع أشخاصها . ويحاور أبطالها . ويشفق لهم أو منهم أوعليهم»[4]، وهنا يتضح لنا موطن إعجازي فني لطيف هو تدخل القارئ عندما يتصور المشهد فيشهده غي تلك المحذوفات من الخطاب القصصي، وكأن الحوار الفني لا يتم إلا حينما ينضاف القارئ بفكره وعواطفه إلى تلك المضامين والفنيات التي احتوتها النماذج المقروءة فتنمو روح التصوير..« لقد خاطبت أدبية القرآن الجن

والجماد، والمغيب، مخاطبتها للإنسان، تكريسا منها لمبدأ الحوار، الذي شكل أبرز فنيات الخطاب القرآني»[5]، والحوار القصصي في القرآن الكريم يتشكل في أنواع عديدة متشعبة نذكر منها على سبيل المثال:

أ ـ الحوار العُرُوِي الذاتي : ويتم بين النبي ونفسه كالذي جرى في نموذج إبراهيم حين كان يتدبر الكون من شمس وقمر فاهتدى إلى الرب الواحد بعد منطق فريد[6] .

ب ـ الحوار المتقابل : ويقع بأضرب؛ منها :

ـ بين الخالق والنبي مثل تكليم الله تعالى لموسى[7]، وقد يكون مناجاة بين النبي وخالقه[8] كزكريا .

ـ بين نبي ونبي آخر كحوار موسى مع هارون[9] وإبراهيم مع إسماعيل[10] ويعقوب مع يوسف[11] .

ـ بين النبي والملك كالذي طرأ في قصة بداية الوحي بين محمد صلى الله عليه وسلم وجبريل[12] .

ـ بين النبي والشيطان [13] كقصة آدم والشيطان أو بين النبي والجن كقصة سليمان مع عفريت من الجن[14] .

ـ بين النبي وشخص آخر كإبراهيم مع النمرود [15] .

ـ بين النبي وقومه وهذا كثير كنوح وقومه[16] وهود مع عاد[17] وصالح مع ثمود [18] .

ـ بين النبي والحيوان كسليمان والهدهد[19] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ـ بين شخص وآخر كما بين قابيل وهابيل [20].

و الحوار مدعاة للحكمة، فلذلك يتخذه النبي حجة في الجدل والتدليل ونموذجا في التربية والتوجيه وأسلوبا في الحياة والدعوة، وذاك الذي درجت عليه كل الرسالات التوحيدية، وهو في القصة القرآنية خطاب طبع يترجم دفائن النفس البشرية وأغوارها، ويكشف عن أفكارها وعواطفها ويسطر آمالها وآلامها، بل إنه المذهب القدسي إذ يتساوق والشخصية من

حيث مكانتها في الحياة أو مستواها العقلي أو الذكورة والأنوثة أو الإيمان والكفر... « كما أن صدور الخطاب القرآني في عمومه عن (أنا): (الله ـالنبي، أو المتحدث الفاعل بصورة عامة) وتوجهه إلى (أنت) (مفرد..وجمع، غائب أو حاضر، إنس أو جن..)، يجسد المبدأ الحواري الذي أصلته العقيدة الإسلامية، كأخلاقية تعاملية يومية، وكفعل بنائي مستديم »[21]، فلا بدع أن الحوار القرآني يجمع بين الحسنتين حسنة إدارة الحوادث وتناسبها مع رسم الشخصيات وحركاتها رسما فنيا رائعا ثم حسنة العظة والتوجيه وتوصيل المعنى .

سَننُ الأزمة بين الجدل والتجادل: لا ينفك ذكر الحوار عن ذكر الجدل والتجادل خاصة وأن الغرض من القصص القرآني ديني يُقَدِم على ترسيخ عقيدة التوحيد التي قوبلت بالنكران ومحاولة الإقصاء، فَتَنَاتج عن ذلك خطاب يقوم على التناقض والتضارب بين الآراء والأهواء وينتهي دوما بالكشف عن موقف الغلبة والبيان بالحجة ثم انتصار طرف على آخر.

وسمَّيْتُ ما يعرف بـ [الصراع] الأزمةَ وسنَنَها بين الجدل والتجادل، لأنها تسمية واردة في القرآن الكريم خاصة في مضمار القصص وبوجوه عديدة مثل : [الجدال/ المجادلة/ الجدل...][22]، ولما نقف أمام المنظومة السردية القرآنية نلحظ أن الأزمة تتولد عن قطبين يتمايزان في نمط المرجعية، لذا نجد الجدل وهو المناقشة بالحجج والأدلة والآية والوحي وهذا فعل الأنبياء والمرسلين، وأما التجادل فبعيد عن منطق الحكمة لأنه خطاب تهوري نابع من روح التناقم والفتنة ويراد به غالبا المضاغنة كقولنا :[تجادل القوم]، واتقاد التصادمية بين القطبين يضفي إلى الأزمة، وربما كان المكان مسوغا ماديا واقعيا تُرجِمت على أرضيته تلك المفاتنة، «فالحيز بصورة عامة كان المثابة التي تشهد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صعود الأزمة، وانفراجها في حياة شخصية»[23] يوسف عليه السلام، فالمكانية ألحت على أبعاد أساسها التأزيم، مثل « البعد التوطيني الاستقراري، فالأرض في قصة موسى مصدر صراع، والدعوة الموسوية التوحيدية فسرها الطغاة على أنها مؤامرة تستهدف امتلاك الأرض منهم، ومن جهة أخرى فإن الله قد وعد المؤمنين اتباع موسى بأن يرثهم الأرض ويستخلفهم فيها »[24] .

و لأجل الاستخلاف ربط الله تعالى الخلق بالعبادة التي تتم على الأرض خدمة لما جاء به القرآن الكريم كالغرض الديني في القصة القرآنية، لأنه غرض بمثابة الشفاء الذي تأفل به الأزمة من صدور الناس رغم أن « الصراع قائم في الحياة، وهو سنة استمرارها، وهو في القصة أحد عناصرها الضرورية لدفع الحدث»[25] وأن أتينا لنتعرف مسارات الأزمة في القصة القرآنية ألفيناها متعددة ومتنوعة ومنها:

أ ـ المسار الفكري: لما كانت عبادة الكواكب قد شاعت في زمن إبراهيم صار أن تأملها فاعتبرها مبدئيا ربا كالكواكب ثم القمر ثم الشمس، حتى أصابها الأفول والزوال إذ تيقن ـ بفكره وبحثه وتدبره المتدرج ـ بوحدانية المعبود واهتدى إلى الصواب بعد جدل ذاتي مثمر [26]و قد زاد التأزم الفكري حدة لما حطم أصنام المرقة المشركين مستثنيا كبيرآلهتهم، فأدخل على أذهانهم حيرة وكادوا يوقنون بالهداية لولا انتكاسهم وتعاديهم حتى أرادوا تحريقه فما فلحوا وما كانوا فائزين[27] .

ب ـ المسار المادي: ويتجلى في جدل عيسى مع قومه الذين جاءهم بمعجزات مادية مرئية ـوقد اشتهروا بالطب ـ كنفخه في الطين بإذن ربه فيكون طائرا وإبراء الأكمه والأبرص والأعمى ... بل وحاجه قومه في إنزال مائدة وكان الأمر كذلك فَرُزِقُوها ...[28]

ج ـ المسار النفسي: كالأزمة التي عاشها صاحب الجنتين المنتفش مالا وثروة وقد داخله الكبر فتطاول على صاحبه مغترا بالفوقية والخيلاء فنصحه صاحبه بذكر الله وزوال الدنيا ونهاية الزهو بها... وإن هي إلا سويعات حتى لحق الجنتين النكال، وههنا يقع المستعلي في مصير الهوادة الذي هو نهاية كل نفس صغيرة [29].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

د ـ المسار الاجتماعي: كذاك المطّل علينا من صور المجتمع العربي الأمي قبل صدر الإسلام لِمَا ساد فيه من نسّب البنات لله تعالى، في آنٍ وَأَدَ آخرون فلذات أكبادهم من البنات، متذرعين بضرورة إبعاد العار والإملاق، فيروح الأمي كاظما ما تزوم به نفسه وأوهامه من تأزمات داسا وجهه حيطة أن يلطخ بوصمة الخطيئة في المجتمع القبلي[30].

هـ ـ المسار التاريخي: ويتجلى بوضوح بيّن وانتشار صارخ في السرد القرآني، ذلك الذي ظل قائما بين الأنبياء وأقوامهم خاصة ما شاع عن بني إسرائيل من قصص العناد والاستكبار والتكذيب والتفنن في استمراء ألوان القبح والعبث، وعُقَدِ الاستعلاء والنفاق ونكران الجميل، بل تعدوا هذا كله إلى التحامل على المرسلين فآذوهم وتهكموا منهم وسلطوا عليهم ألوان المحن والمآسي وساموا مناصريهم أشد العذاب، حتى قتلوا الأنبياء، كما كان بنو إسرائيل قد فعلوا.

و أخيرا يجمل بنا أن نشير إلى منابت الفتنة والتأزيم ودواعيها؛ فهي أجواء المغالبة المكفهرة التي جمعت بين الأنبياء ومن عصى أمر النبوة والتوحيد من أفراد وأقوام ومجتمعات عصيانا كان وليد الصد عن أمرالله تعالى، وبذلك باتت الأزمات حامية الوطيس بين قوة القوي المتين تعاظمت جبروته، وعباده المؤمنين وبين قوى الشيطان وقرنائِه، وكلاهما ينافح ويدافع عما يصبو إلى ترسيخه في الأرض فتجد نفسك متأملا سبيل الاستقامة والهدى وأنت تهتز طربا وحبا محاولا تفهم مفاوز التيه والضلال حذرا منها كمن يقف بين نماذج الإيمان والكفر أو بين الحق والباطل أو بين التلطف والتهكم أو بين العدل والجور أو بين الصبر والحماقة أو بين الحسنى والحيف أوبين النعيم والجحيم، وكل مسارات الأزمة والجدل ذات طابع روحي ديني شامل، « كل ذلك في سياق واقعي، لا تنبو فيه جزئية الخارق (المعجزة)، بل هي تؤسسه على بعد توازني، تنشط به المفاعلة

الصراعية التي تسجلها القصة، بدلالتها التاريخية وبعبرتها المفتوحة على الزمان، المقررة لسنة دوام النزال بين الحق والباطل، في هذا الوجود، مهيبة بأهل الحق، في كل حين أن يتحملوا مسؤولية مناصرة الحق، والتضحية من أجله »[31] لأنه عراك مستديم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ينتهي بتقرير الربوبية والعبودية له وحده جل وعلا، وإبلاغ الغرض الديني من خلال عقيدة التوحيد التي تجسدت في ثنايا الخطاب القصصي ومواقف الشخصيات على تناقضها والأحداث وتشابكها والزمان والمكان وتفاعلهما.

إذاً تلك هي جذور الأزمة الإنسانية ـ اليوم ـ وقد ترسبت آثارها في أحوال المجتمعات والأمم؛ فهي تقدم غاليا بغية افتكاك الحق وقد ضاع وسط هذه الشرذمة الضيزى والتسلُّطية الجوِّرية الطافحة التي ما فتئت تنغص على الكون اتزانه وتوازنه.

- الادكار : ماهيته / توصيليته / حجاجه في التلقي المعجز.

و ههنا لا يمكننا إلا أن نستشهد بالقرآن الكريم نفسه وهو يؤثل إعجازا خاصا به وترا يدل على طبيعة القراءة التي نادى بها ابتداء في أول نص من سورة العلق في الآيات الخمس الأولى منه ؛ ثم أكد الخطاب الإلهي عناية الله ورعايته لخلقه والإنسان بالخصوص فناداه تكرارا وترددا في سورة القمر داعيا إياه إلى حقيقة الادكار بالقرآن الميسر للذكر؛ وترددت اللازمة الإعجازية (و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) أربع مرات وذلك في الآيات 17، 22، 32، 40 وقد وردت في الآيتين 17 و22 عقِب اللازمة الأولى (فكيف كان عذابي ونذرى) مباشرة، لأنه « لما كانت هذه النذارة بُلّغت بالقرآن والمشركون معرضون عن استماعه حارمين أنفسهم من فوائده ذُيّلَ خبرها بتنويه شأن القرآن بأنه من عند الله وأن الله يسّره وسهّله لتذكّر الخلق بما يحتاجونه من التذكير مما هو هدى وإرشاد »، أما تواترها في الآيتين الأخريتين 32، 40 فقد كان ترددا مستقلا عن اللازمة الأولى، فهو في الآية 32 تكرير مماثل لنظيريه السالفين عقب قصتي قوم نوح وعاد، وهو تذييل لقصة ثمود، كما اقتضى هذا التكرير « مقام الامتنان والحثّ على التدبّر بالقرآن لأن التدبّر فيه يأتي بتجنّب الضلال ويرشد إلى مسالك الاهتداء، فهذا أهمّ من تكرير (فكيف كان عذابي ونذرى) فلذلك أُوثر» [32] وفي الآية 40 تكرير آخر للتنويه بيسورة القرآن، ولم تُذكر هنا اللازمة الأولى (فكيف كان عذابي ونذرى) «اكتفاء بحكاية التنكيل لقوم لوط في التعريض بتهديد المشركين »[33]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و من آيات الانسجام والاتساق التي حققها ترداد هذه اللازمة التذكيرية داخل النص القمري؛ التأكيد على وحدانية النظم القرآني في لفظه ومعانيه، والانباء عن يُسْره ويسورته « فأما من جانب الألفاظ فذلك بكونها في أعلى درجات فصاحة الكلمات وفصاحة التراكيب.. وأما من جانب المعاني فبوضوح انتزاعها من التراكيب ووفرة ما تحتوي عليه التراكيب منها من مغازي الغرض المسوقة هي له، وبتولّد معان من معان أخر كلّما كرّر المتدبر تدبّره في فهمها »[34]

و لعلّك تلحظ ما ظَفِرتْ به هذه الترادة المعجزة من إيجاز بليغ في اللفظ وقابلية لسرعة الحفظ، تطرب لها نفس السامع ويفرح لديها القلب.. فقوله (يسرنا القرآن للذكر) أي أن القرآن يُسّرت دلالاته وسُهّلت معانيه لأجل الذكر، والتذكّر اللساني ثم العقلي، ولّما كان الذكر موجبا للذاكر فُرّع على هذا المعنى قوله (فهل من مدّكر) ادّكار اتّعاظٍ واعتبار، واهتداءٍ وتحلّ .

وههنا نورد نصا يحاول صاحبه التركيز على أهم السمات الخاصة بالحجاج المعجز قوله «قبل المضي في تناول البيان الحجاجي في القرآن الكريم من الضروري أن نرتكز على المعطيات الأساسيّة التي يتأسّس عليها الخطاب القرآني، والتي جعلته خطاباً حِجاجيّاً بدرجة أولى؛ لأنّه كما قلنا جاء ليبسط للعالمين عقيدة عالميّة، تقتضي بتوظيف الآليات الحجاجيّة التي تحتوي العقل الإنساني وتقنعه، وهذه المعطيات هي:

أ ـ الخطاب القرآني يسعى إلى" الإقناع"، وفي رحاب هذا الطرح فإنّه يأخذ بعين الاعتبار في كلّ القضايا المعطاة كلّ ما يمكن أن يعتقده المتلقّي منذ البداية. ولذا فإنّه إذا ما حاولنا الغوص في آيات القرآن الكريم وآلياته التعبيريّة وأساليبه البلاغيّة وطروحاته المنطقيّة من قياس وبرهان وتمثيل فإنّنا نبحث في آليات الإقناع المنتهجة فيه.

ب ـ القرآن الكريم هو خطاب موجَّه إلى مخاطب كوني؛ أي أنّه لا يتوسّل متلقّياً معيّناً في زمان أو مكان مخصوصين؛ وإنما هو خطاب موجّه إلى البشريّة جمعاء، فهو غير مقيّد بزمان أو مكان، قال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الذِي لـه مُلْكُ السَّماوَاتِ والأرضِ((31)، فالرسول ـ (ـ بُعث إلى كافةالناس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولذا فالقرآن الكريم يسعى إلى جعل العقيدة المبسوطة فيه إلى ديّانة عامّة غير مقيَّدة، وهنا نشير إلى أنّ" المخاطب المتخيّل هو دائماً بالنسبة لمن يحاجج عبارة عن بنية ممنهجة نوعاً ما؛ أي أنّه يؤطِّر القول ويجعله ملائماً لظروفه الواردة فيها، والمتكلِّم البارع هو الذي يستحوذ حذقاً وطواعيّة على مدارك المعنيين بخطابه أو بنصِّه طيلة فترة الاستماع في حالة الإلقاء، أو النظر التحليلي حالة القراءة"(32). والقرآن الكريم في إطار هذا الطرح استطاع أن يؤثِّر على النفوس، ويستميل العقول من أجل التدبِّر في آياته ومعجزاته من أجل الاقتناع بمقاصده.

جـ. كونية الخطاب القرآني جعلته يقوم على توظيف أساليب متنوعة في التبليغ، لا تتأسّس على الفهم والإفهام فحسب؛ بل تقوم أيضاً على التأثير واستمالة الآخرين، واستنفارهم بغية استنهاض ملكتهم وجعلهم ينخرطون في الحركة الفكرية الموجودة في الخطاب القرآني. وهذا ما يجعل النص القرآني يفترض في طرحه للقضايا الدينية وجود متلقٍّ فعلي أو مفترض، يستدعي مجاجته وإقناعه. فالقرآن الكريم قد استحضر في إنجازه كل الاعتراضات التي يمكن أن تدور في خلد المتلقِّي الفعلي أو المفترض، ولهذا بسط كلّ ما يأخذ بذلك.» [35]

- النموذج المعجز في قصة يوسف عليه السلام : (التلقي الإعجازي وخصيصات الحوار الحجاجي)

أ/ الحوار الحجاجي والقصص المعجز الأحسني :

قرر السرد القصصي حتمية الخطاب التساؤلي والحوار الفعال والحجاج التوصيلي قبل الشروع في السرد المفصل لما قال تعالى {لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين} يوسف7، والسؤال بمعنى مبدأ الجدلية الحوارية الذي يلامس الواقعة اليوسفية « لذلك تأسس الخطاب القرآني على دعامة فكرية، سمت بالإنسان عن نوازع الحس البدائية، التي ظلت الديانات الأسبق تصقلها، وتهذبها فيه، فمخاطبة الكون بالفعل "إقرأ" هي إشارة هذا الانطلاق المثقف، الذي يحمل الإنسان بصيغة الإلزامية، على أن يحيا وجوده واعيا، متأملا، متسائلا، مؤسسا إدراكه وتحصيله، على روح مسؤولة...لقد كانت القراءة أبدا مشروعا حواريا »[36]، وهذا دليل على أن الحوار المبثوث في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السردية المعجزة ناشئ عن سنة الوجود أصالة حيث قررها النص القرآني في الآيات الخمس الأولى من سورة العلق بمأمورية ربانية عالية المقام من خلال مفتاح القراءة المعجزة [اقرأ] وهو فعل أمر تواصلي سيروري يفتح به السائلون باب الآيات آيات يوسف وإخوته الممتدة عبر حوار طلبي يجمع الاستفهام والنداء والأمر والنهي ...و منه « فإن التصريح في أدبية الخطاب القرآني، هو في الآن قول وفعل، أو هو حدث وموقف، وحين يسرد القرآن الوقائع عن طريق التصريحات والأقوال فإنه يعرض الحقيقة من مصدرها عارية مرتكزة على قناعته، وحجته، وإذ يعمد القرآن إلى مسرحة الأحداث، فإنه يستثمر أيضا هذه الظاهرة الخطابية، الحوارية ليقدم للعقل والوجدان مقرراته، من منطلق إيحائي مقنع، فالموضوعية هي إحدى مزايا الطرح الحواري، إذ يمكن للعقل أن يستكنه إيحائية الموقف، من خلال تصريحات الطرفين »[37]، التي ضمتها المنظومة التقويلية المعجزة وهي تستند في أصلها الخطابي المعجز على ذات الله فبعد أن قرر مبدأ الحوار في قوله {لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين} يوسف7 صدر له بفعل التقويل السردي {إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين} يوسف8، وهو فعل تقويلي إخباري [قالوا] يحيلنا فيما بعد على تفاصيل الحوار بين الإخوة وبين أبيهم وغيرهم وهي تفاصيل تقابل وتعادل الحوارية المكثفة التي تمت بين يوسف ويعقوب في نص الرؤيا وتأويلها اليعقوبي.

ب / تفاعل الأصوات المحاورة وإيحاءاتها الموقفية الراجحة على السرد المشهدي اليوسفي:

تفرع الحوار على مساحة سردية شاسعة، وهو حوار يستلهم أحسنيته من الرؤيا اليوسفية إذ يغدو يوسف عليه السلام الفاعل المحوري للأحداث والوقائع كلها فما من موقف إلا ويوسف نواة الفاعلية فيه، والقطب الذي تدور حوله مفاعلة المتخاطبين « فإن الفاعل المرسل يظل واسطة تبليغية حوارية بين هذا المصدر الإلهي، وبين المرسل إليهم (قومه)، ومن هنا تختار الصلة الحوارية بين الفاعل/ المرسل، وبين قومه، مساحة أوفر في سياق قصة الموقف، على أن صلة الحوار بين الفاعل / المرسل، وبين الله المصدر، تظل حيوية، توجيها للمرسل، وتعضيدا له بواسطة القول/ الوحي، وبالفعل/ الخارق كذلك، ولو استعرضنا الوظيفة الحوارية »[38] في قصة يوسف لوجدناها حشرت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شعب الحوارالتي رصدت الأحداث من خلال صورة ناصعة « في النص القرآني، وتوزيعاتها السردية الإسنادية، المحيلة على المتخاطبين، دليل على أهمية هذه الوسيلة التقريرية القرآنية القائمة على الحوار »[39]، الذي اتخذ شكلا دائريا يبدأ بنص الرؤيا ويختم بالتعقيب على الرؤيا نفسها .

أ ـ شعبة الحوار الرؤياوي التأسيسي: لعل نص الرؤيا نموذج إعجازي في أنماط الحوار المتعددة إذ تم بين الله عز وجل وبين يوسف وهو حوار إلهامي لا يخضع لمنظومة التقويل وإدارة التخاطب بين الطرفين إذ هو حوار يقذف في قلب يوسف بالوجه الذي أراده الله تعالى الخبير بكل شيء .

من أجل ذلك قص يوسف الرؤيا على أبيه بحوار تأكيدي مصر {ياأبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين} يوسف4، فحباه الله تعالى بحمل المعجزة الرؤياوية وتأويل الأحاديث وهو الفاعل المرسل/ الشخصية الأحسنية التي تخاطب النبي يعقوب بنداء متأدب [ياأبت] وكل هذا يسم يوسف بالمقام الأسنى الذي حظي عليه في سلسلة الأنبياء فكان أن أقر السرد المعجز بذلك {لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين} يوسف7 .

و أما رد يعقوب على يوسف فكان ردا رفيقا حليما أيضا يتجاوب ومقام النبوة إذ أول الرؤيا إيجازا وتلميحا ليكون دلالة على أنه الحوار المكثف الذي يستل منه السرد شعب الحوار التفصيلي، كما أنه السرد الموقفي المزود بالحيوية والحركة المفاعلة لأطراف الخطاب؛ والرؤيا اليوسفية الإعجازية هي التي مهدت للخصوصية القرآنية التي لاتتكرر في الأدب البشري رغم القاسم المشترك أحيانا بين العملية الفنية ومحاولة الاقتداء بالنص القصصي المعجز، ولا بأس بالإشارة عندئذ لما أكده الدكتور صابر في هذا الشأن قوله « أما الحجاج بالمعنى الفني، فيدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية، والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجية (scalaire)، أو قابلة للقياس بالدرجات، أي أن تكون واصلة بين سلالم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن مفاهيم السلم الحجاجي والتوجيه الحجاجي يختصان إذن بالعلاقة الحجاجية، سواء أحددت هذه العلاقة لسانيا أم اندرجت تداوليا . إنه ضمن الحجاج بمعناه الفني، نفهم إمكانية الدفاع عن أطروحة أولوية الحجاج على الإخبار . إنه من زاوية النظر الإخبارية (المستوفية شروط الحقيقة) » [40]

وربما كانت الرؤيا النبوية المعجزة الباعث المميز لإثارة الاستفهامات والتوقعات التي أحاطت بها فدفعت بالسرد إلى أن يتشكل في صورة مستطيلة الزمن، دائرية من حيث التدفق السردي، وبذلك نعتبر أن رجحان الموقفية على المشهدية أبرز فذاذة وخصوصية في قصة يوسف، فهي أرجح قصة أعدت لذلك إذا ما قيست بمثيلاتها في السرد القرآني « ومن هنا وجدنا السرد يتحرك بفاعلية الحوار، ويجتاز به أطوار الحدثية، وهو ما يتجلى في قصة يوسف حيث يطغى السرد الموقفي، على السرد المشهدي. بل إن رجحان المنزع الموقفي قد أضفى مستوى السياقات السردية الحوارية في فضاء القصة، وجعلها نابضة بالحياة وبالواقعية »[41].

ب ـ شعبة الحوار التغييبي: تستمر السردية في تشعيب الحوار لتستهيض به الفاعلين وتنور ملامح الموقفين وهما يتجاذبان مفاعلة تقاولية كالذي جرى بين الإخوة ويعقوب لما راودوه عن ارساله ليوسف معهم إذ يقدم لنا الحوار ملامح الإخوة من خلال إدلاءاتهم ومحادثاتهم لأبيهم مجردة من التقريرية المتعمّلة فهم أهل مراوغة واجتراء أحمق يصطنعون التعلاّت ويلتقطونها، فخاطبوا يعقوب بقولهم [ياأبانا]؛ فظاهر هذا النداء واضح صحيح لكن سرائرهم تخفي غير ذلك لأنهم عصبة من الشداد الذين وسموا أباهم بالضلال المبين، بل إنهم زينوا استدراجهم بحجة التنزه بيوسف مع حفظه وتلك زلة اللسان ـ والمرء مخبوء تحت لسانه ـ فمتى كانوا له حافظين وقد دبروا له الهلاك والاقصاء من قبل ؟ فضاعفوا الكذب مرتين حين ادعوا النصح والحفظ وعندما تعللوا بالاستباق وفريتهم على الذئب في موقفهم المتباكي النفاقي بل إنهم باتوا يشاكسون أباهم ويستضعفونه ويستفزونه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و قد فترت شدة الحوار بين موقف المطالبة بيوسف وبين موقف العودة من إلقائه في الجب ففي الأول كان الحوار ساخنا متأججا، أما الثاني ففيه فتور لأنهم قضوا مأربهم؛ فسيرورة الحوار تتناوب بين الحركية والسكونية تتماشيا وطبيعة الموقف .

و في كل ذلك إيحاء بالروح التناقضية التي عرف بها الإخوة خلاف الخطاب العقوبي الذي يقدم الأب في صورة الحكيم الفطن والخبير بتلونات الأبناء الضالين فيما ذهبوا إليه وقد عصف الشيطان بأهوائهم ووعدهم بالصلاح بعد الطلاح فكانت وسوسته لهم وسيطا حواريا مفاعلا يدفع بالفاعلين/ الإخوة إلى إدارة الحدث وتلك لطيفة فنية معجزة يغرزها الله تعالى في ثنايا السرد إلماعا إلى ما سيصير إليه أمر المخلوق في الحياة وملابساتها، والسرد يوظف فعل الشيطان توظيفا مستساغا لأنه يصدر عن الحقيقة التي تمت في الزمان والمكان فتأتي ناصعة في الفن المعجز حيث يلون صورة حالكة عن نفسيات الإخوة وقد ترصدوا لأخيهم الغوائل فيتنبأ المتلقي بالكثير من شرورهم المتصعّدة، وقد يسأل: ماذا فعل الإخوة بوجه أبيهم وقد خلا لهم ؟ فلم يفعلوا به إلا شرا وزيادة .

و ظل يعقوب النبي الأب العطوف يتسلى بإشعارات الوحي الرؤياوي الأملية، فهي شخصية وجدت لتربي في الناس معاني الصبر والتروي وتسير بالنبي الناشىء إلى ما اقتضته حكمة الله رغم أهوال الحرمان ومرارتها فصمد ولم تزعزعه عداوة الأبناء وما أدراك ما عداوة الأبناء فهم أكباده . وما هي بعداوة آخرين لذا كانت الصدمة بالغة الأثر وبقدر بلوغها كان الحلم والصبر والتوكل على الله لأن حبه ليوسف حب نبي لنبي .

و إن كان لا بد من السؤال عن صوت يوسف وسط هذه الأصوات فلأنه قطب الرحى الحدثية والمفاعل لها وهو المتحدث عنه بضمير الغائب إلا أنه ذلك الصبي النبي الحاضر في أصوات الإخوة ويعقوب فلم يفاعل الأصوات بعد لأن الأب هو المنافح عنه والمدير لشؤونه والذائد عن سلامته، لكن الإخوة كان همهم تغييب يوسف عن وجه أبيهم كي يخلو لهم وحدهم بحكم غيرتهم القاتلة المترجمة في قولهم {...ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة...} يوسف8 وكذا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قولهم {...يا أبانا مالك لا تامنا على يوسف...} يوسف11 فهو خطاب جاف يتم عن موقف إنكاري جاف فلا رائحة للأخوة كأن يقولوا مثلا :[لأخونا يوسف] وتلك هي سمات الاستعلاء والنبذ والانبهار بالقوة وخيلاء الحسد المقيت .

و أمام هذه المواقف وقد تهالكت على يوسف خطوب عصيبة وهو في قلب الفلوات وسط البئر يثلج قلبه وحي السماء يكاشفه أسرارا مستقبلية، فيتجدد الحوار الرباني وإن يعده ربه إلا حقا وسدادا {... وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون} يوسف15، وهذا حوار موقفي لا عوج فيه ولا يختلف عن حوار الرؤيا فكلاهما نفث في روع يوسف بغية التثبيت والنصر وشد الأزر النبوي تسلية، ولم يشهد السرد تسجيل تضجر على يوسف أواضطراب ما لأنه يعد لشأن ذي عظمة.

ج ـ شعبة الحوار الابتلائي الرسالي: لما كان همُ السرد المعجز تجسيد القصدية والاختزال فإن الحوار الموقفي جاء مشاكلا لذلك السرد في سننه المحكوم بالغاية الدينية ودليل ذلك أن الحوار ههنا سيفاتحنا على مقاولات جديدة بظهور أصوات أخرى على ساحة الحوار في حين تغيب أصوات عايناها من قبل كالإخوة ويعقوب، لأن استحضار السردية للأصوات تبع للقصدية المبتغاة وحدثية الزمان والمكان .

فبعد أن هيئ يوسف بمدد إلهي وعدة من الوحي لا تنضب وبلغ من الحكم والعلم أن باشر المواقف بصوته ولسانه فاصطدم بالتي هو في بيتها دلالة على الملمح الفني في بناء الشخصية إذ لم يذكر اسم المرأة أو سنها ..إنما ذكرت مصحوبة ببيتها الذي كان مثوى حسنا للكريم يوسف كما الشأن في تسمية زوجها حيث نعته السرد بالذي اشترى يوسف من مصر .

و البيت ههنا خلوة عشش فيها الشيطان فسبحت في هدأتها شرور الشهوة وأحياها في هوى المرأة ونزواتها وقد استقلت بالغلام فكان أن أغوت المرأة يوسف {و قالت هيت لك} وهي مصارحة طرحها السرد طرحا يوحي بإصرار المرأة وجرأتها المتهورة في ابتغاء التفحّش دون رادع يردعها؛ إذ آن أن يتدخل صوت يوسف {قال معاذ الله} وهو رد موقفي محصن بالعقيدة الراسخة التي تغرس في أتباعها دروسا وعظات تكسبهم المناعة الحيائية؛ مناعة الطهر والتعفف ومغالبة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشهوانية المتعفنة العارضة وتمدهم بجُنة التعالي عن دناءات البهيمية وتحثهم على لباس التقوى وسمت المروءة وبفعل الموقف اليوسفي الصامد لم يجئ الحوار طويلا لأن مصارعات الاستباق والإعراض والهجوم والاستهواء أغنت عن لغة الكلام وأفضى الأمر إلى لغة الحركات، فإذا بالسيد لدى الباب فيأخذ الحوار مسارا تصعيديا في الموقف حيث بادرت المرأة بحكمها الجاهز والجائر على يوسف في صياغة موقفية تنبئ عن إخلالها بآداب الكلام وبلوغها من سلاطة اللسان مبلغا يوهم بأنها صاحبة الحق .

ثم يعرب يوسف عن موقفه تجاه الاتهام الصارخ بنفس واثقة متزنة مطمئنة بنجاة الصدق من دون استطراد أو حماقة أو ضعف همة، ويتلو هذا حوار المحاكمة، فيشهد الشاهد بشهادة عينية يمليها الموقف (القرائني) ففيه من الإلماحات ما يثبت مصدر السوء خاصة وأن مقاطع الحوار انقضت فصفا جو الحقيقة باديا مما دفع بالسيد إلى أن يظهر منكمش الشرف باهت الشكيمة فاترها فلم يفصح عن أدنى سمة من سمات المروءة أو الرجولة لأنه أصيب بزوال المهابة وموات الشعور والنخوة؛ إنما هي حرية القصر اللامحدودة التي تخول للنفس أن تسبح في مستنقعات الغي حيث تواصل المرأة غوايتها بأن أوسعت دائرة الحوار(الفتني) فاستدعت النسوة {وقالت اخرج عليهن} فهي مازالت الأنثى التي تفترس مكوث الفتى في بيتها .

فلما تأكدت من فشل الحوار في المحاكمة تأمرُ الفتى بالخروج على النسوة لتستثير خيوط الحوار فتحصل على المواقف التي ترتضيها فحاورتهن بتلميح تبعه خروج يوسف عليهن، وههنا نكتة حوارية معجزة في حرف الجر [على] الدال على الاستعلاء المجازي وذاك يناسب زهوها وانتفاشها أمام النسوة لما أضفاه خروج يوسف من أبهة تعود على موقف المرأة بالمدح والثناء، ويصادفن هواها وقد بلغ تسامعهن آفاقا بعيدة، وزين لهن الشيطان ضوضاءهن الأنثوية في أخطر طقوسها الفجورية النذلة تجاه النبي المبتلى فتوعدته المرأة بالسجن وهنا فتح حوار النجوى مع الله وقد حاولنه في إرغام شموخه، وإذلال كبريائه لكن مواقفهن فشلت وصرف الله عنه كيدهن لأنه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نبي مجتبى وليس مجرد شخصية هزيلة هشة البناء فهو الذي :{ قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين .فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم} يوسف33، 34.

و هو ضرب من الحوار(الانزياحي الاستطرادي) الذي يذكي الحوار الموقفي العام بحيوية مفاعلة للأحداث دافعة إياها نحو تكشّفات السرد المستقبلي « فالحوار بهذا الاستطراد المتواجد، تتعمق وظيفته التعبيرية، الموصولة بالوجدان، فالخطاب بها يأخذ منحى عاطفيا، يعكس العقيدة التي تسكن أعماق الفرد، وتجرده الخالص من أجل تمثلها..»[42]، ومهما يكن فإنه خطاب حواري(استنجادي استشفاعي) يلوذ إليه المرسل المضطر فيجاب الساعة وهو الموقف الإلهي الذي لا يغفل ولا يتوانى عن الاستجابة الحقيقية وهذا يطبع الحوار الموقفي الإعجازي بخصوصية متناهية في تقنيات الحوار .

و تبرم يوسف مما دعي إليه من كيد الجهالة متناتج عن الفرار إلى الله وقد « تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له إياك وإلقاء نفسك في السجن والصغار فالتجأ إلى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن أحب إلي من ركوب المعصية »[43] التي نمقتها المرأة بأسونة التخنث والبغاء .

و يمتد الحوار الابتلائي إلى السجن إلا أنه حوار تخذ العقيدة مادة له ففي ضوئها يتفاعل يوسف مع أناس جدد أبرزهم الفتيان وقد دخلا معه السجن وكانت الفتوة قاسما مشتركا بينهم، فما وسم السرد هذين السجينين بالفتوة إلا لحكم كثيرة منها تقاربهما من يوسف في عوامل عدة كالعمر والقوة وحرارة الحس ونباهة الشباب وحيويته، وبمعرفتهما ليوسف وثقتهما به وبإحسانه يهرعان إليه يستنبآنه وقد ارتقى منبر تأويل الأحاديث والعلم بخوارق معجزة كإنبائه لهما عن الطعام قبل أن يرزقانه وهذا موقف حواري يتيح ليوسف نشر دعوة التوحيد وقد أبحر به المقام الروحاني « إلى خطاب مناجاة »[44] يفصح من خلاله عن وجوب هجر الملة المشركة كملة العزيز وقومه فانزاح الخطاب اليوسفي من محاورة المناظرة والتجاوب مع الفتيين إلى حوار حجاجي تلقيني .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا لما«يتصدى الخطاب القرآني، إلى محاورة المكذبين، فإنه يصطنع موقف المحاجة الجارفة، إذ يأتي الحوار أحادي (الطرف)، متلاحق الصدمات، حيوي الإثارة، استفهاما وتنكيرا، وتقريرا، غير متيح لردودهم أن تظهر على صعيد النص بذلك الإلحاح الضاغط من المساءلات، ذات الإيعاز التسفيهي الجلي . وما يفرق بين صيغ الحوار أحيانا، إذ هو من قبيل السرد التنبيهي، الوعظي، الموجه إلى المتلقي، فهو تدخل ذو قصد استخلاصي، وظيفته تأكيد الحكمة التي يرمي إليها موقف المحاجة»[45]، وذاك الذي شرع في تقريره الفتيان عندما استطلبا النصح والتأويل فغرز يوسف هذا الحوار (النجوي) الأحادي الاتجاه في الإجابة عما يسألان عنه، فاللامباشرة في الحوار قد تزيل الغشاوات عن صاحبي السجن في أبلغ صورة بخلاف لو اكتفى يوسف بتقرير الفتيا الرؤياوية توّاً، لأنه تبين افتقارهما للوحدانية وانغماسهما في وحل الضلال والاشراك فبات الحوار ملحا كأعمق أداة للاستدلال والمقارنة « والمناقشة والحوار واستشارة أهل الرأي من العوامل التي تساعد على توضيح التفكير مما يؤدي إلى الاهتداء إلى الحق...و استخدم القرآن أسلوب المناقشة والحوار مع المشركين، وساق لهم الأدلة العقلية التي تثبت بطلان عبادتهم للأوثان بغية إثارة تفكيرهم في أمر آلهتهم، وبهدف إقناعهم بوضاعتها وحقارتها وعجزها حتى يفضح لهم عدم جدارتها بالألوهية»[46] .

و من اللطائف الفنية المعجزة أن يتخلل النسيان المواقف الحوارية ولا يعيقها فقد أوصى يوسف الناجي أن يذكره عند ربه فأنساه الشيطان ذلك فُملِء هذا الفراغ الحواري بحوار جدير بأن يعلق بالمغزى الديني للسرد وهو استعبار الملك ملأه رؤياه فطبع الحوار آنذاك بالازدرائية لعجز العقول المعطلة عن استكناه الرؤيا الملكية لأنها عقول ران عليها الشرك، إلا أن الناجي كان فطنا منتبها لردّ الملإ على الملك فطلب منهم أن أرسلون، وذاك الذي تمّ لأن الناجي شحن من قبل بحوار يوسفي (وساطي) يغتنمه السرد ههنا لعقد حلقات المواقف بعضها ببعض، فخبرة الناجي لم تذهب سدى، وإنما من شأن المملكة أن تحفزه على الذهاب إلى يوسف فهي رؤيا مصيرية لا تقتنع بالمطال والمناقشات العقيمة أو اللامبالاة التثبيطية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالموقف استعجالي اضطراري أي بالرغم من طابع الشرك الذي تتميز به المملكة إلا أنها تستصرخ بالنبي يوسف عليه السلام لأنه بعث إلى الناس برسالة إلهية ودليل ذلك استجابته للناجي فور بلوغه إليه حيث يسم الناجي يوسف بالصدّيقية، كما يظهر عجز الملإ والناس من خلال فعل [أفتنا] لأن علم التأويل وصدقه مشروط بصفاء السريرة والسجايا الشريفة ونور الإيمان، وقد أفضى الحوار (الادّكاري) هذا بنتيجة صائبة أغاثت الموقف الحرج وأنجدت المملكة من الأفول .

و من أجل ذلك الانفتاح التنويري الذي أشرفت عليه سياسة المملكة فقد عاد عليها بالسعادة واليقظة يواصل الملك باب الحوار فيأمر بإتيان يوسف إلا أنه يتأبى ويفترص حوار الملك ليديره نحو الوجهة التي تثمر فتخدم الرعية جميعها، إذ ألفت انتباه الملك لاستفهام النسوة، وإدارة المملكة وما يجري بداخلها {...قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة التي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم . قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين. ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين .

وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم} يوسف من الآية 50 إلى الآية 53، فولد هذا الحوار (الافتضاحي) براءة يوسف وصحصحة الحقيقة وقد سبر الملك أغوار المكيدة من خلال الأيدي المتقطعة حتى إذا بلغ جذور الكيد وجدها متأصلة في امرأة العزيز وتلك الطريقة الحوارية من إمدادات يوسف فهو نبي يشرع عملية التطهير السلوكي وتغليب الحق على الباطل ليرتدع كل من ضل وكاد؛ إذ اعترفت المرأة بذلك واستغفرت ربها، وذاك مبلغ دعوي أفرزه الحوار النبوي التسديدي القائد للنفس البشرية نحو الرشاد ويتلوه مبلغ ثان أرقى وهو استخلاص الملك ليوسف بعد أن تبين الآيات الحقة، أما يوسف فيظل فاعلا حفيظا عليما لا يزيغ به التمكين والاستئمان عن شرف رسالته وثقل مسؤوليته ولم يكن حبورا بمتاع الدنيا العارضة ورونق السيادة والسمعة الزائفة أو خائنا مضياعا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من ههنا فقد ورد الحوار الابتلائي (الرسالي) تحصيليا شموليا ودليله نستشفه من صيغة [فعل] في قوله تعالى { فلما كلمه} والكلام إذ ذاك طويل وجدي يوعز بخطورة ما ستتكفل به الإدارة اليوسفية، في مجابهة السنوات السبع العجاف اليابسات، ولم تفصل السردية ثنايا ذلك الحوار « فالإعراب عن نية الاصطفاء كانت صلب ذلك الكلام بداهة، ولعل الأهمية الأسلوبية التي يمكن اعتبارها لهذه الإثارة السردية الخارجية هو تخللها لسياق القولية، المترادف بتعاقب لفظ : (قال) التصريحية، المسندة إلى فاعل هو الملك »[47].

و إن كان الملك قد أمر بإتيان يوسف من قبل وقد صدّر السرد أمره ذلك بفعل [قال] في مطلع الآية الخمسين إلا أن هذا الأمر تجدد مصحوبا بنية استخلاص الملك ليوسف لما علمه عنه من مواقف ذات شأن فكأننا بتكرار هذه العبارة يشي بتميزها عن سابقتها، فهو تصريح حواري يومئ بخلفية مفادها أن يوسف لم يستجب للمأمورية الأولى لأنها بتراء من التأدب والحرمة ففيها من لغة الاستعلاء والتجرد مما تستأهله نبوة يوسف وكذا إشعار بمنطق المأمورية الذي يستوجب معرفة الآمر بالمأمور حيث لم يكن الملك عارفا بيوسف، ولما توفر ذلك الشرط استجاب يوسف للدعوة حتى يعلم الجميع أنها تلبية بريئة من التزلف المشبوه وإنما هي تلبية للواجب الرسالي المتخفي من وراء الخطاب الملكي الظاهري .

د ـ شعبة الحوار الاستقطابي: استهلت السردية هذا الحوار بذكر الإخوة مجددا للدلالة على أن المسار الحواري العام سينحو منحى آخر غير الذي عايناه من قبل { وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون } يوسف85 ، إذ يحيلنا السرد المعجز ههنا على اعتقاد الإخوة أن الذي دخلوا عليه هو العزيز، باعتباره أمين الخزائن، في حين كان العزيز هو يوسف الذي نصبته قرارات الحوار الذي جرى بينه وبين الملك، وهكذا تستديرالسردية حدثيتها النقلية الكبرى ليفتح يوسف حواره مع الإخوة الذين غيبوه في الجب وهذه عجيبة فنية يدسها القدر في السرد الحواري وفي ضوء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا انقسم الحوار الاستقطابي قسمين، أولهما محاورة يوسف للإخوة قبل معرفتهم لهويته والثاني محاورتهم له وقد فقهوا أنه يوسف .

فالقسم الأول صدّر الحوار الاستقطابي بطلب يوسف الإخوة أن يأتوه بأخيهم من أبيهم وذلك من الآية التاسعة والخمسين إلى الآية الثامنة والثمانين (59 ـ 88) والقسم الثاني يفاجىء الإخوة بانكشاف أمر يوسف وأخيه فيطلب منهم أن ايتوا بأهلكم أجمعين ويتحدد بين الآية التاسعة والثمانين إلى الآية الثامنة والتسعين (89 ـ 98) .فعن القسم الأول نسجل انطلاق يوسف في إدارة الخزائن والتحكم في مصارفها على الصعيدين الحضري والبدوي لذلك سن لنفسه سياسة كلامية لبقة استدرج بها إخوته فشرط عليهم إحضار شقيقه، وقد يبدو تعامل يوسف مع إخوته عندما جعل السقاية في رحل أخيه معاملة دهاء ومكر لكنها في الحقيقة معاملة مأمورة فهي كيد مدبر من الله تعالى العليم بما ستؤول إليه الأمور { كذلك كدنا ليوسف} كيدا إلهيا قصديا، وبذلك تصرف يوسف مبدئيا باستقطاب الشقيق وهو فعلٌ محمودةٌ عواقبه، فتمّ حجز الشقيق بحيلة مشروعة لأن الإخوة مازالوا متشبثين بعلامات الجفاء وطبع الإقصاء إذ قالوا ليوسف {سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون} فأصروا على الإتيان بشقيق يوسف لأن مصالحهم واكتيالهم عالق بذلك لكنهم لم يتورعوا بعد فهم يخفون ليوسف وشقيقه العداوة والبغضاء فأسندوا الأبوة لشقيق يوسف وحده { سنراود عنه أباه} وكأنهم ليسوا أبناء يعقوب أو إخوة يوسف وشقيقه وذاك دلالةعلى الحقد الدفين في موقف (تبرمي أحمق) قائم على التناقض الصارخ فهاهم ينعتون ذلك الشقيق نعتا يوحي بالمحبة {...فأرسل معنا أخانا} {...و نحفظ أخانا} لكنه ادّعاءٌ سببه الاضطرار والمداهنة والتملق، ولم تكن محبة حقّة لذلك وقف يعقوب إزاءهم موقفا أكثر صرامة وشدّة تحملهم على الموثق حتى لا يلدغ من الجحر مرتين في حين كان رؤوفا بهم لما أوصاهم بالدخول من حيث أمر، وتلطف بهم بقوله [يابني] فلم يسخط عليهم ولم يدع الله بإهلاكهم ... ولم تغير المحن والابتلاءات من وقاره وحكمته شيئا.

و لما تأكد يوسف من إيواء أخيه الشقيق شرع في تأسيس حوار موضوعي يعزز به مشروعية دس السقاية وكأنها حوار مجازي يساعد على استقطاب الشقيق استقطابا معللا، فما يوسف إلا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مفاعلٌ أصلٌ لذلك الحوار الحي الساخن الذي آل إلى محاكمة الشقيق في شأن الصواع المسروق، وهي حوارية مكثفة جمعت عمال الملك ويوسف والإخوة والعير « وهو مشهد مثير حافل بالحركات والانفعالات والمفاجآت »[48] لأن الأمر جللٌ وما أدراك ما سرقة صواع الملك، والقحط يتوعّد حياة الناس في الحاضرة والبادية، وإن هي إلا سرقة مدبرة كي يفعّل يوسف تعبيرا حواريا واسع النطاق تتسامع به الرعية كلها، وبغية أن يحسس الإخوة بجرمهم ويربط الجرم بحاجتهم لخزائن مصر والاكتيال وهم لا يدرون أن مديرها يوسف، كما أنها ثورة كلامية تنجح حجز شقيقه في ظل الملابسات التي تفاجئ الإخوة وقد عهدوا رتابة وسكونية جعلتهم في انتفاش ورخاء كثيرا ماكان حافزا على تطاولهم في الاستعلاء والحيف.

تسارعت تلك الحوارية ضمن توتر فوري أطّرته الأداة المقولية [قالوا/ قال] وقد تواترت المخاطبات تباعا حول التحقيق في أمر الصواع في تسعة مواضع مرتبة بسردية محبوكة تنظمها المقولات المسندة لضمائر المتفاعلين وهم يتناوبون بينهم السؤال والجواب منشئين هذا الموقف الجامع بين الحدة والجدية:

قالوا [الإخوة] : ...ماذا تفقدون؟ ←	سؤال استفساري مفجوء.
قالوا [يوسف والعمال] : نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم ←	جواب استعظامي على السارق ومغر لمن يدل عليه.
قالوا [الإخوة] : تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد في الارض وماكنا سارقين ←	تقرير اقتناعي منافح.
قالوا [يوسف والعمال] : فما جزاؤه إن كنتم كاذبين ←	سؤال استدراجي واع بخفايا الموقف.
قالوا [الإخوة] : جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين ←	خطاب جريء في الإدانة بالحد المرتقب من الطرف الآخر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قالوا [الإخوة] : إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ←	تعقيب استدراكي انتقامي.
قال [يوسف] : أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون ←	تقويم وتوبيخ عميق.
قالوا [الإخوة] : ياأيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين ←	استرضاء واستشفاع متأخر جاء بعد تذكر الموثق.
قال [يوسف] : معاذ الله أن ناخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون ←	حكم يحقق الاستقطاب المبدئي.

والملاحظ في تسلسل الأداة التقويلية [قالوا] أنها واحدةٌ في بنيتها اللغوية، لكنها تختلف في مدلولاتها من خطاب إلى آخر قياسا بتناوب الأصوات المفاعلة للموقف دون أن تطرأ بين الصوتين المتعارضين نَبوة، ومن الإشارات المعجزة أن يترادف المؤشر الإسنادي [قالوا] مرتين : {قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين... قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ...} والفاعل واحد هو الإخوة « فيما تخلل فاصل تعقيبي القول بين التصريحين»[49] هو من شأن المشهدية السردية في قوله تعالى {فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ماكان لياخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم}، وهذا العارض المشهدي وجيز يضيء للمتلقي ما ينتج عن مقولات المتحاورين من أحداث فورية « فأغلبية العوارض السردية كانت وجيزة تربط مستويات القصة بفاعلية الحوار »[50] لذلك لم يحدث الشرخ بين التصريحين بسبب التلاحم المتشابك بين الموقفية الحوارية العارمة والمشهدية النجزية .

والجميل أيضا في نمطية المؤشرات الإسنادية أن ترد بتنوع تقتضيه المسارات الحدثية فلما كان الموقف مفتوحا مطلقا على عديد من الأصوات المشاركة فقد ورد بصيغة [قالوا] لأن الحوار لم يعين صوتا دون آخر في عملية التحقيق إنما دمج صوت يوسف في صوت العمال والقائمين على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكيل، لكن لمّا باشر يوسف عملية التفتيش عن الصواع في أوعية إخوته وعثر عليه في وعاء أخيه الشقيق، فلت من ألسنة الإخوة ذكر يوسف فاتخذ الحوار مجرىً جديدا وأكثر تقييدا حيث ورد بصيغة [قال] العائدة على يوسف .

و من الأضرب الحوارية التي تكاشفنا عنها قصة يوسف الحوار الجماعي الخفي الذي تميز به الإخوة وهو يشي بطباعهم الخبّية الخبيثة التي تُبطّن ليوسف وأخيه الدوائر، وكم هي عديدة ومتلونة حسب تعدد أصواتهم، إلا أن الله تعالى قد فضح بعضا منها كالوصية التي أقر بها الكبير في قوله : { فقولوا ياأبانا إن ابنك سرق }، فكان أمراً شديداً يحمل في طياته تناقضا صارخا، فمن جهة قال الإخوة : [ياأبانا] ومن جهة أخرىً قالوا: [إن ابنك]؛ حيث أسندوا الشقيق إلى يعقوب ولم يقولوا مثلا : [إن أخانا]؛ إثباتا لعنادهم الذي يسكن قلوبهم، وقد وردت هذه الخلاصة التي نقلها الإخوة ـ عن كبيرهم ـ إلى أبيهم دون تحوير وهذا ما أثبته السرد إذ اختزل هذا الحوار فلم يكرره ولم يغيره إنما أبقىً على صورته الأولى التي أتىً بها الكبير .

ويقابل يعقوب هذا الموقف بحوار المناجاة في [مونولوج] تضرعي بثي إلى الله وهو موصول بالحوار الرؤياوي المكثف، وأما الأبناء فلم يزدهم ذلك إلا جلبة واستهتارا بل تمنوا هلاك أبيهم وهذا معلم حواري عميق تتكشف من ورائه حقيقة ما يدسونه ليوسف وشقيقه وأبيهما، بل إن عتوهم المتصعّد أفقدهم رشدهم فصاروا إلى يوسف يلحون عليه أن يكيل لهم ويتصدق عليهم وهم يدعونه بالعزيز، فلولا تخفيّ يوسف عنهم بتلك اللباقة الحوارية العالية المقام، لمكثوا على هذه الحال التي تراوح بين الإقبال على الإهلاك والأذىً ـ مع تحمل يعقوب لذلك ـ وهي حال يصورها الحوار الموقفي تصويرا واضحا فلا ينغلق فهم المتلقي رغم أن مفاعلات مختلف هذه المواقف متداخلة فيما بينها، وذاك ديدن السرد المعجز الذي لا معقب له .

وههنا القسم الثاني من الحوار الاستقطابي وفيه أزاح يوسف القناع عن صوته فانجر عن ذلك البوح صدمة حوارية للإخوة أعادت إليهم بعض رشدهم وذاك بعد استدراجهم بأسلوب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حواري دعوي شعاره [العفو عند المقدرة] لذا «أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال : هل علمتم قبح (ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ انتم جاهلون) لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح والاستقباح يجر إلى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة »[51] كما كان تنبيها لهم على مآثمهم وبلوغها مبلغا خطيرا ومن أدلة ذلك مكوث كبيرهم في مصر وهو مكوث يعزز استقطاب يوسف لشقيقه بل كان ربطا لاستقطاب تال وأوسع؛ فما إن اعترف الإخوة بذنوبهم ليوسف دعاهم إلى حمل رسالة القميص وهي رسالة حوارية مجازية لا يفقه لغتها إلا نبي.

قال [يوسف] : هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ انتم جاهلون	← استفهام تنصحي حميمي.
قالوا [الإخوة] : ائنك لأنت يوسف	← خطاب متصدع من شدة المفاجأة وثقل المظالم.
قال [يوسف] : أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا...	← خطاب تقريري شاكر، تكلؤه عين الله.
قالوا [الإخوة] : تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين	← قسم واعتراف يوحي بالتندم والاستسلام.
قال [يوسف] : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم	← خطاب صفوح ذو تجليات تربوية سامقة.
قال [يعقوب] :أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون	← تقرير يحق الغاية من القميص كأداة حوارية.
قالوا [الإخوة] :تالله إنك لفي ضلالك القديم ...	← تقهقر إليالحماقة من جديد وتجرؤ على الأب مما يوحي بعدم التطهر من المعصية بعد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال [يعقوب] :ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون ← تزكية مشروعة معللة غايتها ترشيد الأبناء.

قالوا [الإخوة] :ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ← أوبةإلى الحق من بعد ما رأوا الآيات.

قال [يعقوب] :سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم ← مصابرة موقنة بالعواقب المسطرة في الرؤيا الأصل.

مقاولات مصفوفة بتقنية معجزة بين صيغة [قال] و[قالوا] في تساوق متين البنية، إلا أننا نرقب نقلة معينة في المقاولة السادسة حيث تعين الفاعل/يعقوب بلفظ [أبوهم] لتعلم النقلة الحوارية من يوسف إلى يعقوب وهي التفاتة حميدة في تجاور الأصوات المختلفة رغم أن المؤشر الإسنادي يظل واحدا هو [قال]، والمراد من جمع هاتين المحادثتين المتباعدتين في المكان بين الإخوة ويوسف وبين الإخوة ويعقوب، أن نستنبط تلون مواقف الإخوة تجاه يوسف ويعقوب، فهم متذبذبون في حسم مواقفهم فلا تردعهم إلا البينة القاطعة فبها حاز يوسف ويعقوب التأثير على أولئك فغدوا على التوبة مقبلين، وإن كانت نفوسهم مطبوعة « على اللؤم وسوء الطبع، وجبلت ذواتهم بالفساد .. إن سوء الخلق، ونقض العهد، والتحلل من المواثيق جبلة في نفوس هؤلاء ... وإذا استعرضت قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم كله وجدتها تلح على الخسة في طباعهم والفساد في نواياهم ... لقد استعرضت قصة يوسف صفات الجذر الأول لبني إسرائيل ... استعرضت ذلك بأسلوب فني بعيد عن المباشرة التقريرية، فكانت بهذا المنهج تعطي المثل النموذجي للشخصية القصصية »[52] حيث إن الحوار الموقفي يقلب أصوات الفاعلين على وجوه عدة، هذا فضلا عن الإيحاءات التي تفتح للمتلقي باب سبر أغوار مضامين وجماليات؛ من شأنها أن تمده أدوات البناء الفني للسرد الناجح وتطلعه على دراسة النفسيات ومكونات الشخصية عند الأقوام والأجناس وقد رصدها القرآن رصدا صحيحا عدلا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هـ ـ شعبة الحوار التعقيبي الخاتم: هو الحوار المحقق لنجاح التجميع الذي ظل يوسف يناشده، لأنه يتجاوب مع الحوار الرؤياوي التأسيسي في تناظرية معجزة وكأنهما حواران مؤطّران للقصة أو مصراعان لباب فني في غرفة السرد اليوسفي الأحسني .

و بتمام اللقاء الكلي لا شك أن حوارا حبوريا طويلا قد جرى بين يوسف والشقيق والإخوة والأبوين جميعا ولخص في الترحيبية التي أضفاها يوسف على الأهل فأمنهم وطمأنهم وأكبر أبويه رفعا على العرش وخروا له سجدا... وكل ذلك حوار ضم التحدث بالنعمة ثم راح يوسف مخاطبا أباه موقعا حوارا تعقيبيا يؤكد على تمام الرؤيا وتأويلها المباركين ومقررا لمصدر العداوة والفتن والهلاك وهو الشيطان الذي حذر منه يعقوب يوسف وفي هذا بيان للفعل الشيطاني في احتناك الإخوة حتى ذهب به المقام إلى مناجاة ربه وهو العبد الشكور « ينزع نفسه من اللقاء والعناق والفرحة والابتهاج والجاه والسلطان والرغد والأمان...ليتجه إلى ربه في تسبيح الشاكر الذاكر... رب إني لا أسألك سلطانا ولا صحة ولا مالا رب إني أسألك ما هو أبقى وأغنى (توفني مسلما وألحقني بالصالحين) »[53]؛ فالله خير مردا، فمن أجل أن يحظى يوسف بالرضى من ربه يوم لقائه هرع إليه وأعرض عن التهافت عليمتاع الدنيا ونعيمها وملكها الفاني وبهذا تحقق فاعلية المرسل/ يوسف الغرض الديني الذي ينفخ في القصة القرآنية روح الخلود الفني المتمثل في التصوير الحسي الذي يحاور العين كأداة إدراكية والتصوير الادكاري الذي يحاور المخيال المتلقي، والجدول التالي يرصد المادة الحوارية ضمن المنظومة التقويلية:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيات	النداء	النهي	الاستفهام	الأمر	المؤشر الإسنادي للتقويل	نمط الحوار
4 6←	2	1	/	/	2	رؤياوي تأسيسي
11 14← 17 18+	2	/	1	1	5	تغييبي
23 25 29← 31 34← 36 41← 43 55←	7	/	4	1 4	23	ابتلائي رسلي
59 61← 63 67← 70 75← 77 98←	1 0	3	8	1 7	35	استقطابي
99 100←	2	/	/	3	2	تعقيبي خاتم
نسبة الحوار في السرد العام					٪57 ،78	

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملاحظ أن الموقفية ههنا كادت تغطي مساحة السرد، فبالحوار تفتح القصة [الآيات 4 ← 6] وبه تختم [الآيات 99 ← 101]؛ فكان عدد الآيات التي ذكر فيها الحوار سبع وسبعون [77] آية، فتعددت أضرب الطلبية الحوارية وعززتها المؤشرات الإسنادية المكثفة التي بلغت سبعا وستون [67] مؤشرا يدل على الفاعلية والحيوية العارمة في النص اليوسفي وقد مثلت مجموعة من المفاعلين عبر خمسة أنماط حوارية اتسمت بالتجدد والتنوع والانتشار عبر حيز زماني مكاني.

ج/ جاجية المشهدية المركزة وتغرزها التعاضدي التدافعي في بنية السرد:

و مهما يكن من غلبة الحوار الموقفي على مساحة القص اليوسفي إلا أنه تعاضد مع المشهدية السردية وتدافعا مدافعة فنية محبوكة بشكل تشابكي « فإن القصة تنزع إلى السردية الاستعراضية، وتزاوج بينها وبين الحوار في تشكيل بنيتها .و هكذا نجد السارد (الإله) يسجل مبادءته السردية بمسكه مباشرة بحبل القص، وذلك بعد الآية(6) بقوله تعالى (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) يوسف 7 .فالتدخل السردي هنا، وإن تضمن الحوار' إذ قالوا ليوسف وأخوه...قال قائل منهم ...' يوسف 8، 10 فإنه يسرد الحدث، وينقله، ويروي فحواه، فالحوار المندرج في السياق هو فعل نقلي، ترويه السردية، ويخبر عنه السارد .. على أن تسلسل السردية الخبرية يعطي للحوار تموضعا يغدو به مساقا انبثاقيا، أو مراوحة فنية، يتحول فيها السارد من الإفضاء الإخباري الروائي، إلى الإفضاء المباشر بواسطة الحوار» [54] وهذا إشعار اعجازي يحمل دلالة النص القرآني المسند إلى المولى تبارك وتعالى، فالقصة القرآنية مهما تقمصت الأحداث والفاعلين واحتوت المواقف فإنها محاطة بالغلاف الفني الوحيي المحيل على الخالق تعالى « فالسارد في القرآن معين بصيغة تحيل على الله؛ (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) يوسف، 3» [55]، فضمير [نحن، نا] يحضر بقوة في المشاهد السردية المحشوة في السرد وهي متفرعة عن الآية الثالثة التي يصرح فيها الله تعالى أنه القاص الموحي والفاعل الكلي الذي يفري وقائع الحدثية السردية والحوارية و« قد أخذت منحى حسميا يباشر فيه الفاعل الكلي (الله) الأمر، بقدرته» [56] كقوله تعالى {...و أوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون} يوسف15 وهو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ضرب من ضروب الحوار، يأخذ في الآن عينه صيغة السرد المشهدي وهو تقاطع سردي معجز إذ الله تعالى يكشف ذلك الحوار الخفي دلالة على أنه حوار ينطبق مع السرد ومنه فحقيقة هذا التقاطع تملي علينا أن نعتبر الحوار إخبارا في الوقت نفسه قد ينقل الإخبار الحوار أحيانا وتلك جدلية معجزة تقر انعدام الفصل بين الموقفية الحوارية والمشهدية السردية ومن ذلك أيضا ما ورد في المقاطع المشهدية التالية :

ـ {...و كذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.و لما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين} يوسف21، 22 .

ـ {...كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين} يوسف24 .

ـ {وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين.و لأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون} يوسف56، 57 .

ـ {...و إنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون} يوسف68 .

ـ {...كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم} يوسف76 .

و تتفق هذه المسرودات المشهدية في إحالتها على المشيئة الإلهية المتمثلة في السارد الكلي وارتباطها بمنزول الوحي، كما أنها مشاهد تساند الفاعل المرسل فهي بمثابة الظهير الذي لا يحول، واصطبغت بالا فضائية والتعقيبية التي تتلو الكتل الحدثية الحوارية فيحصل بها ختم النتائج المنبثقة عن تفاعلات الحوار لذا نراها مقاطع تبدأ غالبا بلازمة هي [كذلك]التي تسند على المعطيات والمثيرات السردية المصاحبة الفاعل المرسل وباقي الفاعلين، وتصدر تلك التعقيبات دلائل المساندة الربانية للفاعل المجتبى كالإحسان والإخلاص والتقوى والعلم...

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و تلحق بالمشهدية بعض المقاطع التي يرصد فيها تعالى حيثيات الحدثية ومواقف المفاعلين للوقائع المغروزة في السرد وقد تتواشج مع الحوارية أحيانا مثل قوله تعالى :

ـ {و جاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشراي هذاغلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون .و شروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين.وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أونتخذه ولدا...} يوسف19، 20، 21 .

ـ {ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين} يوسف35.

ـ {و قال لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون} يوسف62 .

ـ {و لما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون} يوسف69 .

و يمكن أن نشير ههنا إلى المادة الحوارية الراجحة على المشهدية.

و كأننا بالسرد الروائي ههنا يتكلف بأن يروي المشاهد عن بعد دون استنطاق الفاعلين، فلعلها مشاهد ضمت فاعلين لم يكن لهم باع كبير ومدد طويل في الحوارية كالسيارة والذي اشترى يوسف من مصر والشقيق فتحدث عنهم السارد الكلي في سياقه .

فأزجى الله تعالى [السارد الكلي] الحديث عنهم في سياقة سردية تعجيلية ومضية« بوصفه دليلا يمضي بالحدثية قدما .إن لهذه التدخلات فاعلية تقويلية إشارية، أي إن التدخل السردي حين يسجله السياق، فلكي يرسل وحدة إخبارية، لها قيمة ذاتية (كإشارة كشفية)، وأخرى موضوعية تنجز به السردية معطى إخباريا إضافيا، لما يتميز به الموقف الحواري القرآني من قصدية وتركيز، ومن إنارة داخلية، تغني عن الوصف الخارجي »[57] .

فلا داعي لاستبحاث المتلقي عما دار من حوار مفصل من وراء تلك المقاطع المشهدية لأن الحكمة من وجود أولئك الفاعلين أن يؤدوا حضورا كونيا داخل المواقف الحوارية وليس شرطا أن يقفوا مواقف تستدعي أن يلقوا بأصواتهم داخل المسار السردي وذاك واضح في السيارة العابرة وفي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي اشترى يوسف من مصر لأن المقام يفيد عروة حدثية تخلو من مفاعلة حوارية موقفية حيث لا سبب كائن لإنشاء ذلك، والأمر نفسه بالنسبة ليوسف وشقيقه لأن العلاقة صفية بينهما لذلك لم نسمع الشقيق تكلم أو أحدث فعلا فمواقفه سكونية منصهرة في إيواء يوسف له أو في سجوده مع إخوته في آخر المطاف.

و مهما قيل عن السردية المشهدية والسردية الموقفية فإنهما سردية كلية واحدة تحضنهما مقدمة السورة وخاتمتها التي تفصح عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كفاعل مرسل ينزل عليه هذا النص السردي الأحسني، والحاضنتان السوريتان المتناظرتان لقصة يوسف هما الآيات [1، 2، 3] بداية والآيات [من 102 إلى 111] نهاية... فهي السورة القصة الأحسنية المعجزة .

خاتمة بالنتائج والمقترحات:

هذا وإن المقام يؤكد ضرورة تعجيل النظر في هذه البحوث وتنقيحها وتشجيعها وضبطها ثم نشرها ثم نقدها وهي التي تعنى بهذا الباب في عالم إنساني شهد وما يزال يشهد زخما معرفيا وثورة فكرية وتناقضا إيديولوجيا وحركات خطيرة وأخرى إنسانية ودية تسامحيه . . . بخصوص الحوار بين فصائل البشرية – اليوم – في كل مستوياتها وباختلاف التجمعات وشتى التشرذمات حول الخطاب الديني والفكري والسياسي؛ ومدى الدرجة العالية الخطورة في البحث عن الخلاص والنجاة.

من أجل ذلك أرى ألا نحرم غير المسلمين الفرصة السانحة بالدعوة إلى عقيدة التوحيد النيرة واضحة سهلة من غير تعقدات وخلفيات خاصة؛ لأنها رسالتنا نتحمل مسؤولية تأديتها وتقديمها دوما بالأوجه الملائمة كي تيسر مآخذها لأولئك؛ ومن تلك الآلات أذكرها ههنا :

1/ التعجيل فورا بإعادة النظر الحصيف المسؤول في تقديم العربية وعلومها تعليما وتدريسا للناس؛ لأنها الخطوة الأولى لإبلاغ الرسالة العالمينية الإسلامية.

2/ بحث السبل الوطيدة لنشر التعريف بأخلاق النبي محمد – صلى الله عليه وآله وسلم –

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من جهة خصائص تربيته الناس وطرائق دعوتهم وكيفيات تدريسهم وإقناعهم في النماذج العديدة الجليلة.

3/ تفعيل هذه الدراسات والمؤتمرات وإرسالها إلى المهتمين بشأن الإسلام والمسلمين والدعوة إلى الله في كل بقاع العالم، وفتح أبواب البحث الجامعي هناك بهذا الخصوص.

4/ العناية بما توصلت إليه البحوث العلمية في هذا الصدد داخل الأوطان العربية والإسلامية وخارجها ثم ترجمتها وإيصالها بطرق الشابكة العالمية والمنتديات والقنوات الإعلامية والصحف والمؤتمرات وسائر الوسائل الإيصالية والتوصيلية.

5/ نقد ذواتنا في تعاملنا مع كتاب الله تعالى من حيث العمل به وفهم بلاغته وغاياته من خلال البرامج والمناهج العلمية في كل ملراحل التدريس للناشئة؛ وذاك أصل الأصول.

مراجع البحث وإحالاته:

1 ـ د ـ محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص:117

2 ـ– صابر الحباشة، التداولية والحجاج ، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق ، 2008 م ص7

3 ـ السيد عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القرآن، ص:73

4 ـ المرجع نفسه، ص:77

5 ـ سليمان عشراتي، الخطاب القرآني – مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998، ص : 182 .

6 ـ سورة الأنعام، الآيات : من :76 إلى :79

7 ـ سورة الأعراف، الآيات : من :142 إلى :144

8 ـ سورة مريم، الآيات : من :1 إلى :6

9 ـ سورة الأعراف، الآيات :من :148 إلى :151

10 ـ سورة الصافات، الآيات : من :99 إلى :100

11 ـ سورة يوسف، الآيات : من :4 إلى :6

12 ـ سورة العلق، الآيات : من :1 إلى :5

13 ـ سورة الأعراف، الآيات : من : 19 إلى :25

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

14 ـ سورة النمل، الآيات : من :38 إلى :40

15 ـ سورة البقرة، الآية :258

16 ـ سورة هود، الآيات : من : 25 إلى 49

17 ـ سورة هود، الآيات : من :50 إلى :60

18 ـ سورة هود، الآيات : من :61 إلى :68

19 ـ سورة النمل، الآيات : من :17 إلى :19

20 ـ سورة المائدة، الآيات ، : من :27 إلى :30

21 ـ د ـ سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ص:183

22 ـ ينظر، سورة : النساء، الآية :109، هود، الآية :32، غافر، الآية :5، الحج، الآية:68، المجادلة، الآية:1، هود، الآية:21، الأنعام، الآية:121، الأنعام، الآية:25، الكهف، الآية :54، البقرة، الآية :197

23 ـ د ـ سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ص:163

24 ـ نفسه، ص:173

25 ـ محمد طول، البنية السردية في القصص القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1989، ص:90

26 ـ سورة الأنعام، الآيات : من :75 إلى :79

27 ـ سورة الأنبياء، الآيات : من :51 إلى :70

28 ـ سورة المائدة، الآيات : من :110 إلى :115

29 ـ سورة الكهف، الآيات : من :32 إلى :44

30 ـ سورة الزخرف، الآيات : من :15 إلى :19

31 ـ د ـ سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ص:80

32 – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر –تونس، ج 27، ص:203

33، نفسه، ص:207

34 نفسه، ص:188

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

35 – عبد الحليم بن عيسى، مقال (البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم "سورة الأنبياء نموذجاً")مجلة التراث العربي–مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب–دمشق العدد 102 السنة السادسة والعشرون – نيسان 2006 م – ربيع الثاني، الموقع الإلكتروني :http://tafsir.net/vb/showthread.php

36 ـ د سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ص :182

37 ـ السابق، ص :185

38 ـ نفسه، ص :184

39 ـ السابق، ص :185

40 ـ – صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص 21.

41 ـ د سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ص :211

42 ـ السابق، ص :190

43 ـ الزمخشري، الكشاف ، دار المعرفة، بيروت ج:2، ص:255.

44 ـ د سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ص :189

45 ـ نفسه، ص :188

46 ـ د ـ د ـ محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، لبنان ط2، ، 1985، ص : 153، 154.

47 ـ د ـ سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ص :209

48 ـ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج :4، ج :13، ص :2019

49 ـ د عشراتي سليمان، الخطاب القرآني، ص: 190

50 ـ نفسه، ص :190 ، 192

51 ـ الزمخشري، الكشاف، ج :2، ص :272 ، 273

52 ـ خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآني ، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، ص :203/ 205.

53 – سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق – بيروت ط. 12، 1983 م، مج :4، ص 2029، 2030.

54 ـ د سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ص :206 ، 207

55 ـ نفسه، ص: 201

56 ـ نفسه، ص: 201

57 ـ السابق، ص :210

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com